الأطفـــال فـــي وضعيـــة الشـــارع بالمغرب محاولة لرصد مغريات الشارع وفهم نمطية المؤسسة

Marginalized street Childen and the challenge of temptations and understanging of the institutions norms

د.الباز جعفر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، المغرب

ملخص: تزخر شوارع المدن الكبرى في المغرب، والصغرى أيضا، بأعداد كبيرة من الأطفال، ينامون في الطرقات، ويكسبون قوت يومهم إما بالتسول أو بالنصب والاحتيال، كما يعانون من مشكلات اجتماعية ونفسية، ويتعرضون لأبشع أنواع الاستغلال والعنف. وأمام هذا الوضع الخطير الذي تشكله ظاهرة الأطفال في وضعية الشارع،قمنا برصد بعض العوامل الدافعة لخروج هؤلاء الأطفال إلى الشارع وفهم نمطية المؤسسة المكلفة برعايتهم اجتماعيا ونفسيا وفي خضم هذا التناقض البنيوي قمنا بهذه الدراسة الميدانية من أجل رصد مغريات الشارع التي تدفع بهذه العينة من الأطفال البقاء في الشارع والبقاء فيه بصفة دائمة وفي الوقت نفسه فهم نمطية المؤسسة كنسق وتوجهاتها كتنظيم من خلال عدد كبير من التفاعلات الرمزية بين الأطفال من جهة ومن جهة أخرى بين الأطر التربوية.

الكلمات الافتتاحية: نمطية المؤسسة، الشارع، الطفل، وضعية الشارع.

Abstract: There are a lot of children sleeping the Streets of Morocco's major cities as well as and the smaller ones. They are earning their day by begging or engaging in delinquent activities, been faced with social and psychological problems and the worst forms of exploitation and violence. In light of this dangerous situation, which is the phenomenon of homeless children, we have witnessed some of the factors driving the exit of these children to the street and understanding of the concerned institution entrusted with social and psychological care of children. In the midst of this structural contradiction In the midst of this structural contradiction, we conducted this field study to monitor the temptations of the street that lead the sample of children to stay in the street and stay there permanently. At the same time, they understand the organization as a model and its orientation as an organization through a large number of symbolic interactions between children on the one hand Between educational frameworks.

Keywords: stereotype enterprise, street, child, street situation.

مقدمة:

تعد ظـاهرة الأطفال في وضعية الشارع، من الظواهر الاجتماعية التي تعاني منها كافة الدول المتقدمة صناعيا، وإن كان شيوعها في دول العالم الثالث أكثر وضوحا، وتأثيراتها الاجتماعية أشد تأثيرا على مستوى العلاقات الاجتماعية مسببة بشكل مباشر أو غير مباشر مشكلات اجتماعية، سبب ظهورها يرجع إلى مجموعة من العوامل السوسيو الاقتصادية ترتبط ببعضها البعض بمقتضى علاقات جدلية. لذلك يمكننا القول أنه لا يوجد عامل واحد فقط مسؤول عن خروج الأطفال إلى الشارع، بل هناك عوامل متعددة، وكل عامل يعد سببا ونتيجة ومؤثرا ومتأثرا به في الوقت ذاته.

كما تعتبر الحياة في الشارع واقعا اجتماعيا متغيرا، قد تدفع الطفل إلى ارتكاب الجنح والمخالفات،ونهج أسلوب العنف كوسيلة للعيش والتعايش. كما تغريه على رفض الإيداع بالمؤسسة لأسباب مرتبطة بمغريات الشارع من جهة ونمطية المؤسسة من جهة أخرى.

وتعددت المفاهيم الواصفة للأطفال في وضعية الشارع: من أطفال في وضعية صعبة، وأطفال في خلاف مع القانون وأطفال في خطر، وأطفال في وضعية إقصاء وما إلى ذلك. كما تبين من خلال المعاينة الميدانية أن الأطفال في وضعية الشارع أعمارهم مختلفة،وضعيتهم الاجتماعية متغيرة، قد يقضون نهارهم في الشارع ويعودون إلى أسرهم في الليل، وهناك أطفال لا يعودون إلي أسرهم؛ والسبب راجع إلى مجموعة من العوامل النفسية والسوسيو اقتصادية، وهناك العوامل المرتبطة بتفكك الروابط الأسرية. تتطرق هذه الدراسة إلى معالجة موضوع اجتماعي نسعى من خلال تناوله إلى دراسة ظاهرة الأطفال في وضعية الشارع.و في بداية الدراسة سنرصد الظاهرة ونفهم بعض متغيراتها الاجتماعية والنفسية دون أن ننسى التطرق لنمطية المؤسسة كتدبير من أجل تحقيق الاندماج الاجتماعي لفائدة هذه الفئة من الأطفال، وبين المحورين نجد محور هروب الأطفال من المؤسسة لأسباب لها علاقة بمغريات مجتمع الشارع كنسق.

1. في مدلول الطفـــل في وضعية الشـــارع:

في سنة **1993**،عرفت **منظمة اليونيسيف** الأطفال في وضعية الشارع: أنهم أطفال يعيشون فـــي الشارع، هربوا مـــن أسرهم، ولا يزالون على علاقة مع أسرهم، لكن يقضون أغلب اليوم وبعض الليالي في الشارع، أما **هيئة الأمم المتحدة**، فقد عرفت الطفل في وضعية الشـــــارع بأنه أي طفل، بنت أو ولـد أصبح الشارع سكنه، مصدر رزقه الأساسي، يفتقد للحماية والرعاية، في حين ذهب بعض العاملين في حقل رعاية الطفولة إلى التمييز بين فئتين من الأطفال: الأطفال الذين يعيشون في الشارع أي الذين يتصف وجودهم في الشارع بالاستمرارية والأطفال الذين يعيشون على الشارع أي الذين يمارسون مهنا في الشارع، ولكنهم في الوقت نفسه، على اتصال بأسرهم يقضون جزءا من اليوم في سكن يجمعهم مع الأسرة (بوزيان راضية،2008، ص9).

ونظرا لشمولية المفهوم، قدمت مجموعة من العاملين الاجتماعيين تعريفا للأطفال في وضعية الشارع، فعلى الرغم من عدم توفره على المقاييس والمعايير المرتبطة بالواقع، فهو تعريف حدد لنا سن الأطفال في وضعية الشارع ما بين 3 و18 سنة، كما أضافوا في تعريفهم، أن الطفل في

وضعية الشارع يعيش خارج إطار الحماية، لا يحتفظ بعلاقاته مع أسرته، طريقة عيشه تختلف عن الآخرين من الأطفال.

وفي نفس السياق قدم **الدكتور محمد الدريج** تعريفا عن الطفل في وضعية الشارع بأنه كل طفل قاصر، أصبح الشارع له محلا لإقامته المعتاد، ولا يجد حماية كافية(محمد الدريج، 1998، ص126).

ومن خلال التعريفات المشار إليها أعلاه، نستنتج أن الأطفال في وضعية الشارع لا تستطيع أسرهم تلبية حاجياتهم الأساسية، سواء المادية, كالغذاء، والملبس, والمأوى، والحاجيات النفسية كالأمن والاطمئنان، أو حاجيات التفتح العقلي مثل التعليم.ومن هنا نستنتج أن تحديد مفهوم الأطفال في وضعية الشارع يعتمد على بعدين: أولها درجـــــة الارتباط بالأسرة وثانيها بمقدار الانحراف وطبقا لذلك فان الطفل في وضعية الشارع هو من لا يتفق سلوكه مع المعايير العامة في المجتمع ويكون اعتماده على تحقيق احتياجاته بعيدا عن الأسرة أو من يقوم مقامها (رضوى فرغلي، 2012، ص20-21)، من خلال الممارسة الميدانية تبين لنا أن البعدين غير متلازمين بشكل بنيوي، لأننا عاينا أطفال يعيشون في الشارع مدة طويلة على الرغم من ارتباطهم بأسرهم ارتباطا آمنا لكن السبب في خروجهم الشارع له علاقة بالرفقة السيئة والبحث عن النموذج. في حين هناك عينة أخرى من الأطفال قد تكيفوا مع واقع مجتمع الشارع بكل تمثلاته، يزورون أسرهم في المناسبات والأعياد،يمارسون أنشطة غير مهيكلة من أجل تلبية حاجياتهم لكن وحسب أقوالهم " لم نعد مدمنين على أي مخدر "، إن قراءة في هذه المفاهيم تضعنا أمام التساؤل التالي: ما هو واقع الأطفال في وضعية الشارع بالمغرب؟ وما هي المغريات المباشرة وغير المباشر التي تدفع الأطفال للبقاء بصفة دائمة في مجمع الشارع ؟ فالإجابة علي هذه الأسئلة صيغت ضمن نتائج هذه الدراسة التي استقصت الواقع الاجتماعي وجمع البيانات من أدبيات البحث العلمي والميدان والتي يمكننا تلخيصها في العناصر اللاحقة.

2. رصد مخـــاطر الشـــارع ومغريـــــاته الاجتماعية والثقافية:

يـــعد الشارع فضاء متوحشا، إذ هو المكان الذي تتكاثف فيه الانفعالات الجماعية واليومية، فهو مزدحم ومليء بالأخطار والحوادث، وفي الوقت نفسه مسرح للإبداع والبحث عن هوية جديدة. كما يوفر للطفل فرصا كبيرة للربح، قد يستغلها بذاته أو من خلال تشجيع وتوجيه أو تنظيم من آخرين، بالإضافة إلى شعوره بالحرية. ففي الشارع يشبع الطفل حاجاته وغرائزه المكبوتة، كغريزة حب الاستطلاع وغريزة الشعور بالاستقلالية.

ووسط الأقران والجماعة يحس الأطفال بالحماية، كما يحصل على أسماء شهرة، قد يحبها أو لا يحبها، لكنها في الغالب تُستعار من شخصيات وهمية؛ هذه الأسماء تُخلق بغرض التمويه أو فرض الذات، وفي الوقت نفسه لإثارة الخوف. ونضيف أن الشارع –كفضاء- يوفر فرصا للعب والترفيه، لكن دون إتباع القواعد الخاصة بأي لعبة، فالمهم هو اللعب لغرض اللعب، ومما لا شك فيه، فالتواجد في الشارع كمحل للإقامة، يحتاج إلى إستراتيجيات للبقاء والتعايش مع هذا القدر الكبير من التنوع والتباين في العلاقات والأفراد والمشكلات والمخاطر.

إن الأطفال في وضعية الشارع يعانون أوضاعا غير مستقرة، ويعيشون ظروفا صعبة، تتصف بالقسوة وعدم الأمن، وهم ضحايا العنف والاستغلال بجميع أنواعه، وفي الوقت نفسه يوفر لهم -الشارع- الشعور بالحرية ويتيح لهم إشباع حاجاتهم ورغباتهم المكبوتة دون رقيب أو حسيب. فالحياة في الشارع توفر لهم إمكانية المغامرة وتحقيق غريزة حب الاستطلاع. كما يحققون نضجا مبكرا لكثرة التجارب ومواجهة الحياة بمفردهم دون مرافق، فالشارع نسق اجتماعي من شأنه أن يعلم الطفل كما جاء على لسان أحد الأطفال عندما سألته حول إيجابيات الشارع أجابني بكل ثقة في النفس الشارع مدرسو دون معلم، فخروج الطفل إلى الشارع والعيش وسط دهاليزه وبين البؤر السوداء الخاصة به، والتحاقه بجماعة الرفاق يدفعه تدريجيا للبحث عن هوية جديدة.

في البداية، يحصل الطفل على اسم شهرة، لا يبالي إذا نودي عليه به، حيث يتم إطلاق هذه الألقاب بين الأطفال بغرض التمويه، والانفلات من الوصم الاجتماعي. وفي الوقت نفسه يلبسون ألبسة متميزة، ويتكلمون لغة خاصة، وتتكون عندهم خبرة التعايش والتواصل مع الآخر.

يعد الشارع، إذن،(محمد عباس نور الدين، 2004، ص89)، كمتنفس للطفل بعد أن أصبح الجو الأسري روتينيا ومغلقا يشعره بالملل، يغلب عليه طابع السلطوية المبالغ فيها. وفي الشارع دائما يتحرر الطفل من ذلك الجو، ويقيم علاقات مع أقرانه أو مع من يكبرونه سنًّا، كما يمكنه الحصول على فرص اللعب والترفيه بكل أنواعه، دون التقيد بقواعد أو ضوابط؛ فهو يلعب بغرض اللعب وإشباع حاجته ليس إلا.

وبناء على كل ما سبق، يعد الشارع المأوى الذي يتخذه الأطفال محلا لإقامتهم الدائمة أو المؤقتة؛ أثناء الليل يتغير شكل الشارع، فيعود آخر المتأخرين أدراجهم إلى بيوتهم، كما يغادره المترددون عليه نهارا ليتركوه للسكان الأصليين: الأطفال في وضعية الشارع.

عموما، أثبت مجموعة من الباحثين أن الحالة النفسية للطفل في وضعية الشارع تكون صعبة جدا لأنها تتسم باضطرابات نفسية واجتماعية، وتوصف بالخطيرة لما تخلفه من آثار سلبية على نفسيته. ومن أهم هذه الدراسات، والتي تبناها العديد من الأساتذة الباحثين في العالم العربي، كمنهاج لفهم سلوك المشردين، دراسة كل من **جانيت وواغنر Janet et Wegnar**، وكذلك دراسة **كولمان Colman** 1992، لقد اتفقوا جميعا أن الأطفال في وضعية الشارع يعانون من سوء التوافق (**معناه هو عجز الفرد عن إقامة حالة توازن وانسجام بينه وبين نفسه وبينه وبين بيئته**)، والقلق وعدم الاحترام وتقدير الذات. بالإضافة إلى آثار أخرى نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

-مظاهر العدوانية والعنف.

-تفشي سلوك الاستجداء.

-الحقد على الذات وعلى الناس، النزعة إلى الإجرام.

ونضيف أن الاتجاه العالمي قد اهتم أيضا بمشكلة الأطفال في وضعية الشارع، وحث الدول على أن تقرر في تشريعاتها الداخلية اعتبار الأطفال ضحايا وليسوا جناة، فحين يكون الطفل في

الشارع، فهو محروم من كل الحقوق، ومعرض بمعدل الضعفين للإصابة بالأمراض التنفسية والمعدية، والعنف والاستغلال الجنسي والاقتصادي.

لكن، على الرغم من المجهودات المبذولة من طرف الدول، فما يزال كثير من العنف الموجه ضد الأطفال خفيا، لأن الطفل يخاف بطش مرتكب العنف عليه، باعتبار الشارع وسطا عدوانيا بامتياز، فلا يُتصور ألّا يتعرض أي طفل، اختار الشارع محلا للإقامة، لأي شكل من أشكال العنف، وألا يدفع ضريبة البقاء فيه. والخوف، حسب رأي الأستاذ **مبارك ربيع**، يعد بمثابة رد فعل من أجل البقاء، واستثمار أقصى لقدرات الكائن للوقوف في وجه المخاطر(مبارك ربيع، 2001، ص136)، ومن المخاطر التي يواجهها الطفل في وضعية الشارع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

-حوادث السير.

-العنف من قبل الكبار.

-القبض من قبل الشرطة.

-الإصابة بالأمراض المعدية والمنتقلة جنسيا.

-الإصابة بالعاهات.

بالإضافة إلى إمكانية الإصابة ببعض المشاكل النفسية كإصابتهم بالقلق والاكتئاب والهلوسة، علاوة على السلوك العدواني على النفس واتجاه الغير.

إن تكيّف الطفل في وضعية الشارع مع وسط الشارع -الأكثر عدائية- أمر ضروري، ويشكل فعل الخوف محركه الأساس، وللتدليل على هذا، سأورد أمثلة من ردود أفعال غريبة، لاحظتُها خلال المعاينة الميدانية، صدرت عن بعض الأطفال في وضعية الشارع، فحين تقترب من أحدهم وتريد التحدث إليه، وبمجرد ما ترفع يدك إما لتغيير وضعية أو رغبة في الحصول على شيء أو توضيح أمر، يخاف وتبدو عليه حالة من الذعر أو الاضطراب. لأنه وحسب التجربة، قد تعرض مسبقا للعديد من السلوكات العدوانية من ضرب واستغلال جنسي يصعب نسيانها، كما عاش العديد من المخاوف خلفت وراءها ندوبا نفسية عميقة، وانفعالات قاسية تقوم عليها ردود أفعال في المستقبل.

وحسب وجهة نظر عالم النفس **ألفرد أدلر Alfred Adler** فإن العدوان هو تعبير عن إرادة القوة. أما **سيجموند فرويد SigmundFreud** فيعبر عن العدوانية بأنها أي سلوك واع شعوري ناتج عن غريزة الموت التي افترض وجودها (عبد الرحمان بن عبد الله الصبيحي، 2003، ص64)، أما العدوان بالنسبة للأطفال في وضعية الشارع فهو نوع من تأكيد الذات أو حماية لها، في حين تصبح الإساءة الجنسية، بالنسبة لهم، أمرا معتادا، بل أكثر من ذلك مثيرة للذة، فحين يعتاد الطفل على الإساءة الجنسية، يصبح ذلك أمرا طبيعيا له، وواقعا ينبغي الرضوخ له، ومن ثم يعجز عن البوح بهذا النوع من المعاناة بمعدلات أكبر، مقارنة بالإساءة الانفعالية والبدنية.

فالجنس بالنسبة للأطفال في وضعية الشارع، هو ضريبة البقاء، لدرجة تصبح معها الإهانات اللفظية أو الاعتداء البدني، أكثر جرحا لكرامتهم وأسوأ تأثيرا من الاعتداء عليهم جنسيا. كما

تحدث الممارسات الجنسية بالتراضي بينهم، أو يتبادلونها مع الغير مقابل امتيازات مادية أو هدايا (رضوى فرغلي، 2012، ص93)، لذا، فإن بعض الأطفال لا يشعرون بالذنب تجاه هذه الممارسات الجنسية الشاذة.

وقد أظهرت دراسة **نشأت حسن حسين (بعنوان: ظاهرة أطفال الشوارع دراسة ميدانية في نطاق القاهرة الكبرى سنة 1998)** أن % 94 من الأطفال في الشارع تعرضوا إما للاغتصاب، أو لمحاولات الاغتصاب. وقد لاحظ الباحث خلال هذه الدراسة، أن معظم الأطفال في وضعية الشارع كانوا غالبا ما يتحدثون عن العلاقات الجنسية دون حرج، وقد عزز الباحث ملاحظاته بتصريح أحد الأطفال بقوله: **"الكبار يمارسون الجنس على الصغار وحين يكبر الصغير يمارس الجنس على من هو أصغر منه"**.

إن ظروف التواجد بالشارع، من شأنه أن يدفع بالطفل في وضعية الشارع إلى تطوير أساليبه في التعامل مع مشكلات هذا الفضاء، ما يساعده على الاندماج داخل الجماعة، والتعايش مع التنوع السائد في العلاقات بين أفراد المجموعة، فالطفل في وضعية الشارع لا يعيش بمفرده، بل يعيش في مجتمع له علاقاته وقيمه، وبه قنوات للتعلم وتقوية القدرات ووسائل الترهيب والترغيب؛ مجتمع مواز للمجتمع الأصلي الرسمي بضوابطه الاجتماعية وقيمه وتقاليده.

وبعد هذا الاستعراض لمخاطر الشارع ومغرياته، فقد أتيح لنا التعرف على آراء هؤلاء الأطفال حول وضعيتهم الاجتماعية، وكذلك معرفة تطلعاتهم للمستقبل من وجهة نظرهم، ومن خلال المقابلات الفردية التي أجريت مع الأطفال تبين أن هناك تباين واختلاف في الرؤى والأجوبة، فمنهم من هم راضون عن وضعيتهم لقدرتهم على التعايش، وكسب المال وإشباع الرغبات،ومنهم من يشعر بالخوف والاغتراب وعدم الرضا لما يتعرض له من عنف واعتداءات بدنية وجنسية. أما عن تطلعاتهم فهي لا تختلف عن حاجاتهم، فهم يرغبون في العودة إلى أسرهم، وتعلم حرفة، ومنهم من يرغب في ترويض نفسه والتخلي عن تعاطي المخدرات والسرقة، لكن منهم من لا يرغب في الخروج من الشارع، بمعنى أن تطلعاتهم المستقبلية منعدمة وغير واضحة بسبب الحرية، والقدرة على الحصول على المال والإدمان على المخدرات.

وتعد الحرية هي السبب المباشر والفعلي في رفض الأطفال في وضعية الشارع الإيداع بالمؤسسات واختيار الشـــارع كمحل للإقامــــــة، بالنسب لهم،الشارع مدرسة دون معلم،هذه الحقيقة غير قابلة للجدل،حيث إن الشارع أكسب الطفل وعلمه جميع الأشكال الدفاعية، مكنه من العديد من مهـــــارات العيش والتعايش، كما أتاح له فرصة إبرام صداقات حميمية، وتلبية جميع رغباته بكل حرية. والتحرر من عدة مبادئ وقيم وقوانين قد يرونها زائدة، مزيفة، تطبق بطريقة عشوائية، فالحرية شعار الحياة في الشارع، هي الوجود، محدد من محددات التواجد بالشارع، وبمجرد إيداعهم –الأطفال في وضعية الشارع- بالمؤسسة، فإن هذا الشعور بالحرية يصبح مقيدا بالمبادئ والقيم والقانون الداخلي، هذا التقييد المشروط، يجعل الطفل غير مرتاح، ليس بطفل حر،يهرب بمجرد ما تتحين له الفرصة من أجل الحصول على الحرية، يقول **سارتر "أننا لا ندرك ذواتنا إلا من خلال اختياراتنا، وليست الحرية سوى كون اختياراتنا دائما غير مشروطة "**، إلى جانب الحرية كعامل للتواجد في الشارع، هناك عامل ربح المال، هذا

العامل يعد من مغريات البقاء في الشارع. لأن الطفل بإمكانه أن يحصل على مكانة تراتبية داخل الجماعة في الشارع، مما يجعله يحصل على المال إما بالاستجداء أو بالسرقـة، أما العامل الثالث، فإنه يتعلق بالإدمان على المخدرات، ولفهم مشكلة الإدمان لدى الأطفال في وضعية الشارع فلابد من التعرف على كل من(عبد الرحمان محمد العيسوي، 2011، ص121): **ظاهرة التحمل والإعتقادية، وظاهرة المعاناة** من أعراض الانسحاب، أي انسحاب العقار المخدر من متناول يد المدمن و فوق كل ذلك يلزم التعرف على الأسباب التي تدفع الأطفال للإدمان. يلجأ الطفل في وضعية الشارع إلى المخدرات، اعتقادا منه أنها تسبب السعادة واللذة من تجربة التعاطي نفسها أو تذوق مذاق المخدر، أو أنها تخفف عنه ضغوط الحياة والمشاكل الأسرية، وهو اعتقاد خاطئ لأنها تزيد الطين بلة، وتضيف مشاكل أخرى يصعب مقاومتها أو قهرها، كارتفاع ضغط الدم وزيادة درجة حرارة الجسم، والشعور بالشك والريبة في نوايا الآخرين، والسلوك الشـاذ والمتكرر،والهلاوس القوية أو الواضحة ، والتعصب الزائد إلى جانب العنف، أو السلوك العنيف وسرعة ضربات القلب مع احتمال الوفاة(عبد الرحمان محمد العيسوي، 2011، ص126)، هذا بالفعل ما وقع،حيث سجل مجتمع الشارع وفاة العديد من الأطفال بسبب تعاطيهم كمية كبيرة من المخدرات نذكر هنا حالة الطفل الذي وجد جثة هامدة في إحدى الأماكن المهجورة بل الأبشع هو نهش الكلاب بعض أعضاء جثته والسبب هو تناوله كمية متنوعة من المخدرات (الحشيش، الدليو، الخمر...).

3. العوامـــــل المؤثرة في خروج الأطفـــال إلى الشـــارع:

ترجع ظاهرة الأطفال في وضعية الشارع إلى مجموعة من العوامل الاجتماعية التي ترتبط بعضها في علاقات نسقية، لذلك يمكننا القول أنه لا يوجد عامل واحد مسؤول عن خروج الأطفال إلــى الشارع، بل هناك عوامل متعددة نذكر منها .

العامل السوسيو–اقتصادي: يـــعد الاقتصاد دعامة أساسية في تحقيق التنمية والبناء الاجتماعي لكل بلد. يمتلك قوة وتأثيرا على مختلف مؤسسات المجتمع وقطاعاته الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية والثقافية، بل ساهم وفق دراسات في تفريخ مجموعة من الظواهر الاجتماعية بسبب سوء توزيع الثروات ومبدأ تحرير السوق، ومن خلال هذين العاملين تزايد معدل البطالة ، ارتفعت نسبة الفقر لدرجة عجز مجموعة من العائلات على تلبية حاجيات أطفالهم مما يفرض عليهم – الأطفال - القيام بأدوار اجتماعية لا تتلاءم سنهم ولا هيئتهم البدنية مما يدفعهم إلى البحث عن بدائل، عن نسق آخر من شأنه الاستجابة لرغباتهم النفسية والاجتماعية على الرغم من خطورته وأقصد هنا نسق مجتمع الشارع، حيث بدأنا نلمح أطفالا يفترشون الكارطون، ينامون في الأماكن العمومية ينعتون بالأطفال في وضعية الشارع.

كيف يمكننا الربط بين العولمة كنظام و الأطفال في وضعية الشارع كظاهرة ؟

لقد عرف العالم تحولات اقتصادية واجتماعية وثقافية بشكل ملفت للجدل والنقاش، بسبب تحرير السوق،الذي يعد من أبرز مؤشرات العولمة، حيث واجهت الكثير من المفارقات بين القبول والرفض، من طرف العديد من الدول . فالبعض يرى قبول العولمة، ومحاولة الاستفادة من ميزاتها وجوانبها الإيجابية، والبعض الآخر ردها في جوانب أخرى تتعارض مع المبادئ

والأصول والهيمنـــــــــــة(محمد عبد الفتاح محمد، 2009، ص77)، كما تسببت العولمة في انقسام مجتمعات العالم الثالث إلى شريحتين: شريحة تكيفت واستوعبت في الوقت نفسه مقتضيات العولمة وقيمها ومعاييرها، وشريحة عريضة من المجتمع، تتحايل على العيش لتوفير الحد الأدنى وضمان الاستمرار في الحياة، وهناك تأكيد على ضرورة التعامل مع العولمة كنظام، ورفضها جملة وتفصيلا يعنى التأخر والتخلف، كل هذا يدعونا إلى القول بأن إفرازات العولمة وتحرير السوق، تسببت في تزايد حدة الفقر ودمرت القيم الاجتماعية. فمع عصر العولمة وغول السوق، ومبدأ البراغماتية فـــي العلاقات، انعكست سلبا على إجبار الأسر - فلذات أكبادها - على الخروج من المدرسة والاشتغال في الأعمال الهامشية والاعتماد على أنفسهم في مواجهة متطلبات حياتهم وحاجات أسرهم، وقد أظهرت نتائج الأبحاث، أن عمل الأطفـــــال مرتبط بوضعية عمل الأب، فإذا كان من الباعة المتجولين فالوضع يفرض في كثير من الأحيان أن يقضي الأطفال معظم وقتهم في الشارع، مما يألفون معه الشارع ويرتبطون بمغرياته ارتباطا بنيويا.

إن العولمة أدت إلى اتساع فجوة الفقر في العالم بسبب التوزيع غير العادل للثروات. فالبلدان الغنية تسيطر على 80 في المائة من إجمالي الدخل العالمي،في حين نجد أن 60 مليون عربي يعانون الأمية،و73 مليون عربي يعيشون تحت مستوى خط الفقر،مع وجود 10 ملايين عربـــي لا يحصلون على الغذاء الكافي(قيرة إسماعيل،2001، ص141)، وفي بعض الحالات قد يلجأ رب الأسرة إلى العنف، إما تفريغا لشحنة الخيبة أو الفقر، وإما رغبة منه في الحصول على النفع المادي.لقد خلصت دراسة حدية **المصطفى** في كتابه تنشئة وهوية **socialisation et identité.** إلى أن الآباء ينظرون إلى أبنائهم كمشاريع استثمارية للمستقبل(بسيمة الحقاوي، 2006، ص46)، خاصة في الأوساط المحرومة، حيت تكون الحاجة أكثر حدة وآنية وتفرض الاستثمار المبكر.كما أثبتت بعض الدراسات أن الأوساط المحرومة لا تستطيع إلا أن تمارس العنف والتعسف (بسيمة الحقاوي، 2006، ص48)، لأنها نفسها تعاني من ضغوط وقبضة السلطة الاجتماعية ولذلك تعيد إنتاجـــه.

فالأسرة المنتمية إلى الطبقات المحرومة، هي أكثر الأسر فرضا للأدوار الاجتماعية على الأبناء دون أي حوار أو ترك هامش لحرية الاختيار، مما سيضطر معه الطفل إلى اختيار الشارع كمحل للإقامة على الرغم من خطورته.

أمام تزايد عدد سكـــان في المدن الكبرى،وظهور تقسيمات للمكـــان والسكـــان، حسب المستوى الاقتصادي والانتماء السوسيو- ثقافي، برزت تفاعلات اجتماعية جديدة وليدة الوضع الجديد للمجـــــال ،لها علاقة بنيوية بالعلاقات الموجودة بين التزايد السكاني وفضاء المدن وظهور بعض السلوكات المعادية للمجتمع،حيث تضيق المساكن، وترتفع كثافة السكان، فيظهر نوع من القلق السيكولوجي والعاطفي وتتكون حالة تأهب لرد الفعل(بسيمة الحقاوي، 2006، ص58)، إن هذه المتغيرات السوسيو- اقتصادية ناتجة عن عوامل مجالية ذات أبعاد اجتماعية، وذات أثار على سيرورة الحياة بصفة عامة، وعلى تنشئة الأطفال بصفة خاصة. إن التعرف على هوية المكان من شأنه أن يهدد هوية الأنا، فعندما يضيق البيت بأهله، فإن الملجأ الوحيد يبقى هو

أزقة الحي، واللعب طوال النهار، ومرافقة الشباب دون رقيب، أمــــام هذا الوضع الاجتماعي غير المستقر، قد يصبح الطفل وبشكل تدريجي طفل في وضعية غير مستقرة وهشة.

في الآونة الأخيرة أصبحت ظاهرة الأطفال في وضعية الشارع مظهرا من مظاهر تخلف المجتمع، وبحسب الاقتصاديين فالتخلف مرتبط لا محالة بتفكك البنيات الاقتصادية، وتبديد الثروات، وسوء استغلالها، أما الاجتماعيون فيرون التخلف بأنه راجع بالدرجة الأولى إلى الانفجار السكانــي، وفقدان التوازن بين السكان والموارد المتوفرة، فترتفع نسبة البطالة.

وفي الواقع المغربي، نجد غالبية الأسر المحرومة تدفع أبنائها للعمل لمساعدتها ماديا. وتعلم حرفة بدل التعليم الأكاديمي. فخروج الطفل إلى ميدان الشغل في سن مبكرة وضعية مجبرة لا مخيرة، تحت ضغط عائلي، فعمل الطفل أصبح مرتبطا بنيويا بوضعية أسرته الاجتماعية و الاقتصادية خصوصا في الوسط القروي، بعد الهجرة إلى المدينة(بسيمة الحقاوي، 2006، ص69): وأمام هذا المعطى، نجد أنفسنا أمام نوعين من الأطفال في ميدان الشغل: النوع الأول يكون قد قطع صلته بأسرته كليا أو جزئيا، وخرج إلى الشارع معتمدا على نفسه ومجهوده الخاص في العيش، وهو يعتبر شكلا من أشكال التعبير عن بؤس بلدي **Misere municipale** كمــا أسمته **ريكورت أورتيكا** **Ricaurte Ortega** حيث يكون العمل وسيلة للبقاء وليس هدفا في حد ذاته بالرغم من حياته الهامشية يقوم الطفل بأنشطة وممارسات يختلط فيها اللعب بالشطارة في التصرف الضرورية للعيش(بسيمة الحقاوي، 2006، ص69)، وهذا النوع من الحياة " العملية " المحصور في بعض الأنشطة كمسح الأحذية ، بيع كلينيكس، مسح زجاج السيارات" ليس أكثر من ممارسات ترتبط بحياة الطفل في الشارع، أما النوع الثاني من الأطفال، فيتعلق الأمر بالذين أودعهم آباؤهم في معمل أو مرآب أو غيره لتعلم صنعة أو حرفة، وفي غالب الأحيان لا يستطيع الطفل الاستمرار، بحكم أن العلاقة التي تكون بينه وبين رب العمل علاقة عمودية،متسلطة، تجعل رب العمل يقوم باعتداءات لفظية، وأحيانا يمارس الضرب على الطفل المتعلم، فلا يطول به المطاف حتي ينغمس في دهاليز الشارع ومتاهاته من جديد.

العامل المرتبط بتلاشي الروابط الأسرية: تعد الأسرة أول مؤسسة اجتماعية ينشأ فيها الفرد ويترعرع. فالعلاقة بين الوالدين لها بالغ الأثر على حياة الطفل داخل وخارج الأسرة، فإذا كانت هذه العلاقة مبنية على الحب والاحترام، شعر الطفل بالأمن، أما إذا كانت مبنية على الكره والصراع والعنف، فسوف يشعر بعدم الاستقرار.

وفي نفس السياق انتهت بعض الدراسات السوسيولوجية والنفسية أن الطفل يتأثر بأسرته، كما أثبتت الاختبارات كذلك أن الطفل إذا تعذر عليه إقامة علاقات عاطفية مع والديه، فإنه يتعذر عليه إقامة علاقات اجتماعية مع غيره، فحب الابن للأبوين هو أول شرط يشعره بالأمن، كما تحدث الكثيرون عن التأثيرات النفسية للأم على الطفل. يعد بيت الطفل الأسري - حتى وإن كان غير مناسب-، أفضل من أية مؤسسة أخرى من مؤسسات الرعاية الاجتماعية، والتي تتصف بفقدان الدفء والعلاقات الحميمية بين الطفل ووالديه، وفي حالة حرمان الطفل من رعاية أمه وخاصة عندما ينشأ في مؤسسة، يهبط مستوى نموه، وكلما طال البقاء في المؤسسة زاد الهبوط في مستويات النمو(محمد مومن، 2007، ص60)، فالأسرة هي الإطار الأول والعامل الدائم

الفاعلية لاستمرارية سيرورة التنشئة الاجتماعية، وإن كانت قد فقدت أو تخلت عن بعض وظائفها التربوية لمؤسسات اجتماعية أخرى، بسبب التحولات التي تعرض لها المجتمع في هذا القرن. كما تعرضت – الأسرة - لهجوم بعض الإيديولوجيات التي اعتبرتها مؤسسة للضغط والتعسف. حيت اقترح الماركسيون أن تتولى الدولة أمر الأطفال، وأن تسحب مهمة الرعاية من أيدي الأسرة لأنها تكرس نظام الملكية والوراثـــة(بسيمة الحقاوي، 2006، ص43).

لكن هذه الرؤية الإيديولوجية كالعديد من المبادئ الماركسية ، مخالفة للنظرة البشرية، فإلغاء الأســـرة، هو إلغاء للمجتمع ككل ، كما قال **كونت comte " المجتمع البشري يتكون من أسر لا من أفراد** "(بسيمة الحقاوي، 2006، ص43)، تمثل الأسر المجتمع وتحمل معاييره وقيمه، وتتبنى إتجاهاته وتقوم في نفس الوقت بدور الوساطة بين المجتمع والأبناء، بتنشئتهم على تلك المعايير والقيم، وأن أي انحراف أو خلل يصيب أدوار الأسرة من شأنه أن يؤثر على التنشئة الاجتماعية للأطفـــــــال.

حاليا، أصبحنا نشاهد تعدد الأنماط الأسرية، فهناك نمط العائلات النووية التي تتكون من الأب والأم والأطفال غير المتزوجين، وهناك أيضا العائلات متعددة النوايا، وهي عبارة عن مجموعة من العائلات النووية، ولكل واحدة استقلالها الذاتي، وفي نفس الصدد الخاص بالمتغيرات الأسرية، فقد أنتجت ما يسمى بالعائلات غير المكتملة، والتي أصبحت تزايد بمرور الأعوام وهي العائلات المكونة من المطلقين أو من الأرامل أو عائلات العمال المهاجريـــــــــــن(محمد جسوس، 1982، ص62).

لا أحد ينكر بأن الأسر المغربية عرفت عدة تحولات في وظائفها، لكن الجدل قائم، فهناك رأي يبارك هذه التحولات، ورأي آخر غير مؤيد لها. ويرى أصحاب الرأي الأول، بأن هذه التحولات إيجابية، بحيث كانت للأسرة سابقا سلطة مطلقة على الطفل، في حين سلطتها حاليا تقلصت إلى أبعد الحدود، وخاصة سلطة الأب على الأبناء، وأن الأسرة المعاصرة اليوم، لم تعد ممتدة ومتمركزة حول الأب، بل تحولت إلى أسرة نووية، بينما يرى أصحاب الرأي الثاني بأن التحولات التي عرفتها الأسرة، خاصة على مستوى تقلص سلطاتها، قد حولتها من مؤسســـــة تربوية إلى مؤسسة للسكنى والاستهلاك فقط . باعتبار أن الأسرة الحديثة فقدت سيطرتها على الطفل ، ومن ثمة أصبحت عاجزة عن القيام بدورها التربوي(محمد مومن، 2007، ص73).

4. الطفل في وضعية الشارع ونمطية المؤسسة:

تعد مؤسسات الرعـــاية الاجتماعية اليوم عبارة عن وحدة اجتماعية، تمارس ضمنها تأثيرات متبادلة، وتتشكل عبرها نسق من العلاقات التواصلية التي تتأرجح بين التواصل الفعال والتنافر، علاقات غالبا ما يسيطر عليها الأحكام المسبقة، أصبحت عملية التواصل داخل المؤسسات فنا وفلسفة اجتماعية للإدارة والتسيير وتحقيق الأهداف، فهي بمثابة بنيات الاستقبال والحماية الاجتماعية للأطفال في وضعية صعبة أو في وضعية إقصاء، سواء كانت هذه الوضعيات بصفة دائمة أو بصفة مؤقتة.

عرفت مؤسسات الرعايـــة الاجتماعية رغم مهامها النبيلة وأهدافها الإنسانية وأنشطتها الهادفة، تغييرات، وواجهت صعوبات متعددة الأبعاد،سواء من حيث الأعداد أومـــــن حيث

التخصص بحسب الفئات أو من حيث بلوغ الأهداف وتحقيق الإنجازات، وأخيرا من حيث تقييم الأثر على الفرد والمجتمع. ورغم الدور النبيل لهذه المؤسسات، فإنها مازالت تواجه صعوبات وتحديات على مستوى مجالات التدخل ، أو على مستوى الحكامة والهندسة الاجتماعية،مما دفع بوزارة التضامن والأسرة والتنمية الاجتماعية،الاستناد في تدبير الشأن المؤسساتي لمؤسسات الرعاية الاجتماعية علـــى القانون14- 05 الذي أصبح يحدد شروط فتح مؤسسات الرعاية الاجتماعية وطرق تدبيرها، الصادر في 30 شوال 1427، 22 نونبر 2006.

خلال الستينات والسبعينات فتح نقاش كبير حول مدى قدرة مؤسسات الرعاية الاجتماعية على توفير الرعـاية المناسبة للطفل، ومدى تلبية حاجياته ومراعاة حقوقه، بحيث تبين آنذاك بأن الطفـل قد يعاني وهو داخل المؤسسات نوعا من العزلة والانطواء، والبعض الآخر يجد صعوبة في المشاركة في المجموعات، في حين هناك شريحة من الأطفال ليست لديها رغبة في متابعة الدراسة، وترفض رفضا مصرحا به أو غير مصرح به الذهاب إلى المدرسة. لذلك قامت مجموعة من الدول الأوروبية بالبحث عن خيارات بديلة، تعطي فرصا أفضل للطفل – فاقد الرعاية الوالدية – على الاندماج الاجتماعي، وبدأ الاهتمام أكبر بالأسرة ودورها في التنشئة الاجتماعية، هذا التوجه جاء نتيجة عدد من التطورات الأساسية، فمن جهة، بينت الدراسات أن رعاية الأطفال في المؤسسات له أثار سلبية على صحة ونمو الأطفال، ومن جهة أخرى، توقف عمل مجموعة من مؤسسات الرعاية عن تقديم الخدمات بسبب عجزها المادي. وأمام هذه الكوارث، فكرت هذه الدول في إتباع إجراءات معينة والبحث عن حلول تمكن الطفل من البقاء في حضانة والديه، أو أحد أقاربه، أو لدى الأسر البديلة بالنسبة للأطفال فاقدي الرعاية، إلا أنه وعلى الرغم من فتح باب مؤسسات الرعاية الاجتماعية، وتقديم الخدمات المناسبة وتلبية الحاجيات لفئات الأطفال المحرومة، فالهدف لا يضمن بألا يتعرض الأطفال المودعين بهذه المؤسسات للعنف والاستغلال، أمام هذا الوضع الخاص بمؤسسات الرعاية الاجتماعية، بدأت العديد من الدول في أوروبا بوضع تشريعات خاصة برعاية الأطفال فاقدي الرعاية الوالدية، وتدعيم النموذج الأسري والمناداة بالاستغناء عن المؤسسات الاجتماعية، وبذل الجهود في الجانب الوقائي لمنع انفصال الأطفال عن أسرهم، بما في ذلك دعم الأسر البيولوجية، وتحسيسها للقيام بدورها في تربية فلذات أكبادها ورعايتهم وفق تعاليم ديننا الحنيف، وديباجة المواثيق والتشريعات الدولية والوطنية.وقد نتج عن هذا النهج توجها جديدا نحو ما يعرف بعملية التخلي عن المؤسسة، الذي نال دعما كبيرا من منظمات وهيئات عالمية ، مثل البنك الدولي ومنظمات الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي، وبمراجعة الدراسات والتقارير حول تجارب الدول المختلفة، يمكننا التأكيد على ضرورة البحث عن بدائل للرعاية، وأن تكون الرعاية المؤسسية هي السبيل الأخير وليس الحل الأسهل، أما بالنسبة للدول العربية، كانت رعاية الأطفال تتم بطريقة الأسرة الممتدة من جانب الأم والأب، أما في حالة فقدان الطفل كلا الوالدين، فهناك إجراءات وترتيبات لوضع الطفل في أسرة الأقارب المناسبة حسب سنه وجنسه، وكان اللجوء إلى مؤسسات الرعاية يكون في أضيق الحدود حيث يقتصر على الأطفال مجهولي النسب. لكن مع التغييرات الاجتماعية والاقتصادية، وارتفاع معدل الهجرة من البادية إلى المدينة، أدت الوضعية إلى ارتفاع

عدد الأطفال المحرومين من الأسرة، وبرزت ضرورة تقنين التعامل مع هذه العينة من الأطفال.فبدأ دور الأسر الممتدة والأقارب يتضاءل،ويفقد صلاحياته لفائدة مؤسسات الرعاية الاجتماعية. فالمؤسسة تحاول أن توفر لهؤلاء الأطفال الجو الجماعي، وتساعدهم على نموهم الانفعالي والنفسي الاجتماعي، فمن خلال الجماعة يشعرون بالأمن والانتماء، بالإضافة إلى استمتاعهم بالأنشطة المختلفة التي من خلالها يكتشفون قدراتهم، وينمون مهاراتهم إضافة إلى ما يتلقونه داخل المؤسسة من خدمات علاجية لمشكلاتهم السلوكية والإنحرافية على أيدي متخصصين فنيين في هذا العمل، كما أن المؤسسة تقوم بتدريبهم مهنيا من خلال الأوراش المختلفة داخل المؤسسة أو خارجها(محمد سلامة محمد غباري، 1989، ص175).

تعتبر الحياة داخل مؤسسات الرعاية الاجتماعية بمثابة سلسلة متشابكة ، فبقدر ما حققته من نتائج في إدماج الأطفال أسريا واجتماعيا، بقدر ما هناك أطفال مازالوا يستفيدون من الرعاية والتكفل، على الرغم من تجاوزهم سن الرشد القانوني أي 18 سنة .

5. أهم النتائج المتوصل إليها:

في هذه الدراسة، حاولنا الاقتراب من الواقع الاجتماعي والثقافي والنفسي لظاهرة الأطفال في وضعية الشارع، وسعينا إلى أن تكون جميع النتائج صادقة في تقديم حقيقة ظروف عيش الأطفال في الشارع، وما يرتبط بذلك من مظاهر ثقافية وتصورات اجتماعية.

من هذه الدراسة، توصلنا إلى عدد من الاستنتاجات التي تزاوج بين المقاربة النظرية والمعاينة الميدانية في سياق مغربي بكل مكوناته الاجتماعية، واللسانية والنفسية. فالعمل الميداني مكننا من الاستنتاج أن ظاهرة الأطفال في وضعية الشارع ظاهرة عالمية ذات جذور تاريخية لها ارتباط بمجموعة من المتغيرات والتناقضات السوسيو ثقافية، أسهمت في ارتفاع حجمها مجموعة من الظروف الاقتصادية والاجتماعية، إلى جانب العولمة وتلاشي الروابط الأسرية دون أن نغفل المؤثرات الجسدية والنفسية.

وقد اعتمدت الدراسة البحث الميداني بمدينة الدار البيضاء، بصفتها أكبر المدن المغربية ومحطة توافد عدد كبير من الأطفال من جميع أنحاء المغرب. وفي خضم هذه القضايا التي يثيرها موضوع دراستنا، اعتمدنا مقاربة تشاركية في جمع البيانات والمعلومات، وفي نفس الوقت اعتمدنا على نتائج عدد من الممارسات المؤسساتية والجمعوية الميدانية في المجال المبحوث فيه.

قمنا في بداية الدراسة، بدراسة ميدانية هادفة لعدد من الإحصاءات تخص عينات من الأطفال، عبر دراسة الفئات العمرية التي تتراوح أعمارها ما بين 12 و18 سنة من مجتمع أصلي، غير محددة. ولقد تم الاتصال بها بشكل عشوائي وبأماكن مختلفة. غالبية الأطفال في وضعية الشارع تنحدر من المدن الكبرى، بالإضافة إلى المدن الصغرى وخصوصا البوادي التي تعاني من الفقر، وقلة فرص العمل، تركوا أسرهم، إما بسبب العنف الأسري، وإما بسبب البحث عن عمل للمساهمة في تلبية الحاجات الأسرية. لكن الواقع فرض عليهم الإقامة في الشارع، والبحث عن الحماية بدل البحث عن عمل، وأصبحوا يمتهنون مهنا غير مهيكلة، أشهرها التسول بنسبة 75

بالمائة، لأنه نشاط لا يتطلب رأسمال، فقط يحتاج إلى بعض الكفاءات والخبرات لنيل عطف المارة.

وتساءلنا، في نفس الوقت، عن أشكال العنف التي يستعملها طفل في وضعية الشارع، وكيف يوظفها تعبيرا علائقيا مع الآخر. وجاءت الأجوبة متنوعة، تحدد كل أشكال وتجليات العنف النفسية والاجتماعية واللغوية والجسدية، مع رصد لكل أنواع التواصل السائدة بين الأطفال في وضعية الشارع بكل مستوياتها التركيبية والدلالية والصوتية والتداولية. وبناءً على ذلك حاولنا الاشتغال أكثر على الدقة والوضوح في طرح الفرضيات.

في الفرضية الأولى، طرحنا سبب رفض الطفل الإيداع بالمؤسسة، فكانت النتيجة أن مرجعيته في هذا الرفض مرجعية ثابتة ومتغيرة في نفس الوقت. فالشارع مدرسة دون معلم، حيث إنه أكسب الطفل وعلمه مهارات الحياة، وجميع الأشكال الدفاعية. كما أتاح له فرصة إبرام صداقات حميمية. لكن بمجرد إيداعه بالمؤسسة – بغض النظر عن الطريقة- تصبح حريته مقيدة بالقانون الداخلي، هذا التقييد المشروط يدفع بالطفل إلى الهروب من المؤسسة طمعا في استعادة الحرية، إلى جانب عامل الحرية، هناك عوامل أخرى مرتبطة بربح المال والإدمان على المخدرات أو ما يعبر عنها الأطفال ب"البلية"، بالفعل، إن الحياة في الشارع حياة خارج إطار الحماية، وفتح العديد من المؤسسات ليس حلا؛ فالحل حسب رأي غالبية الأطر التربوية هو الاشتغال مباشرة مع الطفل، في المكان الذي يعيش فيه، وسار مجموعة من المسؤولين في القطاع الحكومي والمجتمع المدني في نفس الاتجاه، وإن اختلفت فيه أجوبتهم:

ج1: ضرورة الاهتمام بالوسط الطبيعي والاشتغال مباشرة مع الأطفال في الشارع.

ج2: القضاء على الفقر والبطالة والفوارق الطبقية.

ج3: وضع رؤية حكومية جديدة.

وفي الفرضية الثانية، قمنا بطرح مجموعة من الأسئلة لها علاقة بالأسلوب اللغوي السائد في مجتمع الشارع، والمعايير الثقافية التي يرفضها طفل الشارع. فتوصلنا إلى ما يلي: لجوء الطفل إلى أسلوب العنف الحركي والعنف الجسدي، كبديل عن الحوار التفاعلية، سببه راجع إلى الوضع الأسري الذي كان يعيش فيه، وانتماؤه لأسرة فقيرة لغويا ينعدم فيها الحوار، وعند ولوجه إلى المدرسة يصعب عليه التجاوب مع البرامج التعليمية، فيتسرب تدريجيا إلى أن ينضمّ إلى زمرة الشارع.

يعد هذا التحرر من المعايير الثقافية، مشجعا للأطفال في وضعية الشارع على خلق لغة خاصة مقننة ومشفرة، لاكتساب شرعية جديدة. أما عن نتائج الفرضية الثالثة والأخيرة، وجدت أن المؤسسة تتكلم عن الطفل كأنها تملكه، وأخرى لديها اعتقاد أنها تملك التجربة.

خاتمة:

وهكذا يمكن القول إن ظاهرة الأطفال في وضعية الشارع ظاهرة متغيرة ومتجددة، وحتى تستطيع مؤسسات الرعاية الاجتماعية مسايرة هذا التغيير والتجديد، بات من اللازم البحث والاشتغال بمقاربة القرب والتدخـــل من أجل الحماية، والتواصل مع هذه العينة من الأطفال وفق تحركاتها. وخصوصا ونحن على علم بأن الطفل في وضعية الشارع يعيش خارج إطار

الحماية.فأمام غياب أي تدخل رسمي وفعال من طرف الجمعيات والمؤسسات غير الحكومية، وحماية هؤلاء الأطفال من أخطار الشارع، وإعادة إدماجهم اجتماعيا وأسريا ، فسوف تتعرض هذه الشريحة من الأطفال إلى الاستغلال من طرف فئات اجتماعية أخرى في أعمال إجرامية وإنحرافية، في الآونة الأخيرة، بدأنا نلاحظ شوارع المدن الكبرى والصغيرة في المغرب ، زاخرة بأعداد كبيرة من الشباب، يكسبون قوت يومهم إمـــا بالتسول، أو بالنصب والاحتيال ، يمتهنون مهنا غير مهيكلة، يعانون من مشكلات اجتماعية ونفسية، يتعرضون لأبشع أنواع الاستغلال والعنف، هؤلاء الشباب كانوا صغارا لكن مــع مرور الوقت كونوا مجتمعا كبيرا له خصوصياته السوسيو- ديموغرافية، لم يعد يستفيد من خدمات مؤسسات الرعاية الاجتماعية، بل أصبح يحقق رغباته النرجسية بطريقة عدوانية وعنفية، في الوقت نفسه معرضون أكثر لمجموعة من المؤثرات والمغريات التي من شأنها أن تغرس في عقولهم أفكارا منحرفة، وكذا استقطابهم واستغلال ميولاتهم المتعددة والمختلفة من أجل القيام بأفعال غير إنسانية ومتطرفة.

قائمة المراجع:

1. أحمد أوزي(2004)، سيكولوجية العنف، عنف المؤسسة ومأسسة العنف، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.
2. بسيمة الحقاوي(2006)، التسول في المغرب من الآباء إلى الأبناء، مقاربة نفسية، اجتماعية، ط1، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، المغرب.
3. رضوى فرغلي(2012)، أطفال الشوارع، الجنس والعدوانية دراسة نفسية، ط1، مكتبة دار العربية للكتاب، القاهرة، مصر.
4. راضية بوزيان(2008)، أطفال الشوارع في الجزائر، دراسة سوسيولوجية نفسية لظاهرة أطفال الشوارع وسبل مواجهتها، ع37، م علوم إنسانية، الجزائر.
5. محمد الدريج(1998)، الأطفال في وضعية صعبة،سلسلة شهرية، المعرفة للجميع، ع25، المغرب
6. محمد جسوس(1982)، التطورات العائلية والتنشئة الاجتماعية للطفل المغربي، ع1، مجلة الدراسات النفسية والتربوية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية محمد الخامس الرباط، المغرب.
7. محمد عباس نور الدين(2003)، أطفال الشوارع، رؤية نقدية، اجتماعية وتربوية للظاهرة بأبعادها المختلفة،ع11، م3، مجلة الطفولة والتنمية،المغرب .
8. محمد مومن(2007)، ظاهرة أطفال الشوارع بالمغرب، ط1، دراسة ميدانية بالرباط وسلا، المغرب.
9. مصطفى حجازي(2007)، التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، ط1، معهد الإنماء العربي بيروت، لبنان.
10. نجاة مجيد(2001)، منارة قوارب الشارع مقاربة جديدة لإشكالية الشارع، مكتبة دار الأمان، الرباط، المغرب.
11. Groupe de pédagogie et d’animation sociale(2006) ,l’enfant dans la rue, guide méthodologique, en Pologne.